شعرية النصوص

مقاربات جمالية في الرواية والشعر

نقدم في هذا الكتاب محاورات مع بعض النصوص الأدبية؛ محاورات تهدف إلى الدخول إلى عالم النص، ولا تكتفي بالوقوف على بابه فقط. وكلها قراءات يجمع بينها مدخل أساسي هو باب اللذة التي يمد النص بها قارئه؛ حيث الدخول إلى عالم النص يتطلب طاقة ضخمة نبذلها، ومعاناة كبيرة نكابدها... وكل هذا يهون أمام شعور بسعادة كبرى تنتظر في مرحلة من مراحل القراءة؛ ودائما هناك لذة الكشف التي تهزنا من الأعماق مع كل منطقة نكتشفها من عالم النص الذي نرتاده.

obeikandl.com

وتتمة لكتابنا السابق: « الشهاوي وكونه الشعري، مساحة بين الحلم والحقيقة »- يأتي هذا الكتاب؛ فهنالك أعلنت رغبتي في أن تتحول قراءة النص إلى محاولة للدخول إلى كونه، وإلى محاولة للعيش فيه، ومكابدته وملاحاته، بدلا من التعامل معه على أنه إنتاج لغوي معتاد، وهو ليس كذلك، حتى وإن كان يستخدم اللغة مثل بقية النصوص الأخرى؛ فاللغة فيه ليست هي اللغة التي نعرفها، إنها لغة جديدة تخص النص ولا تخص غيره؛ وسيلة من وسائل التصوير، يلجأ إليها الشاعر متوسلا بها إلى نقل ما وجد هناك في ذلك العالم السحري المدهش... ومن ثم ينفتح باب المجاز على مصراعيه، وعلينا أن ندخل ذلك العالم، علينا أن نحكم على كائناته، اللغوية وغير اللغوية، كما ينبغي أن تكون عليه في عالمها؛ فإذا فعلنا فتح لنا الشعر أبوابه، وأدخلنا مرحبا، وأجلسنا في أفضل مجالسه.

فالشعر مملكة خاصة؛ كون مستقل بكائناته المتفردة، ونحن لا نستطيع أن نقرأ قصيدة بمرجعيتنا المعجمية، بل لا بد أن نقرأها هناك في كونها الخاص، بمرجعياته الخاصة، فلا علاقة للكلمات هناك بكلماتنا هنا، ولا علاقة للتعبيرات هناك بتعبيراتنا هنا؛ فليس لنا أن نبحث عن المعنى الذي قصد إليه الشاعر؛ علينا أن نحيا عالمه الذي

أبدعه، فهناك معان أخرى ولها تفسيرات أخرى؛ معان تنتمي لهذا العالم الخاص وتفسيرات لا تصلح ولا تصح إلا فيه!!!

وإذا كان الدخول إلى عالم النص الشعري هو ولوج إلى عالم مسحور، تمثل فيه القصيدة كونا خارقا في سحره وفتنته وشفافيته؛ فإننا نرى الشيء نفسه مع عالم النص الحكائي؛ نرى الدخول إليه دخولا إلى عالم مسحور تمثل فيه الحكاية كونا جديدا؛ عالما متشابكا معقدا يخلقه الروائي، ويتحكم في مكوناته؛ فالحكاية ليست عملا كلاميا؛ إنها كون جديد يبنيه الروائي؛ كون مكتمل ندخله؛ وحياة جديدة نحياها؛ وحديثنا عن الحكاية هو حديث عن الحياة التي صنعها الروائي؛ حديث عن العالم المسحور. وهذا العالم يحتاج إلى تعاويذ لفك طلاسمه والولوج إليه، وأولى هذه التعاويذ، هي فيما نرى حب النص، فإذا أحببناه هان بعدها كل شيء.

ومن هنا نستطيع القول: إن منهج القراءة الذي نعتمد عليه منهج يترك نفسه للانطباعية وانفعال الذات إلى أبعد حد ممكن، وصولا إلى أقصى ما يفجره النص الشعري أو النص الحكائي من طاقات. ولعل في هذا التأكيد على انطباعية القراءة وذاتيتها تنفيسا عن مكبوت طويل من أسر النظريات التي تدعي لنفسها سمات العلمية في مجال القراءة

الأدبية؛ ولم تكن المحصلة شيئا يذكر؛ بل كانت ضد الأدب، وضد الأدبية... حين جنبنا البعد الإنساني الذي هو أصل فيه وغاية، سميا وراء الجانب الآلي الذي هو فرع له ووسيلة... إن الحديث عن الكون الروائي ومقاربته مقاربة معيشية أولى من الحديث عن الكلام في الرواية؛ عن اللغة فيها؛ عن الهيكل الخارجي، أو حتى عن المضمون الداخلي... الأولى أن ندخل إلى عالم الرواية؛ إلى كونها الخاص، لا أن نقدم كلاما على كلام.

نسأل الله الهداية، في الأمر كله، والتوفيق والسداد

oberkandl.com